ـ أنا زوجته.

دخلتْ بعد تردُّد وهي تنظر إليَّ باستغراب لم أفهم سببه في البداية ولكنّي فطنتُ إليه بعد فوات الأوان. كانت تستغرب خلط الرّجال مع النّساء في غرفة واحدة. ولم تكن بي رغبة في تلك اللّحظة لتبرير أيّ شيء لهذه المرأة التي لا أعرفها، واكتفيتُ بأن رددتُ تحيّتها وعدتُ إلى مكاني مصطنعةً النّوم.

جلستِ المرأةُ قرب زوجها... وبسرعة خاطفة خلعت خاتمَ زواجه وساعته الثّمينة ودسّتهما في حقيبتها اليدويّة ثمّ استرخت بعد ذلك كمَن أنجز واجباً لا بدّ منه، وتناولتْ قدح الماء من فوق الخزانة وراحت تقطّر الماء في فمه ببطءٍ شديد وتتنهّد.

شعرتُ في البداية باشمئزاز، ورحتُ أفكّر بما يمكن أن يحدث لهذا الشّاب إنْ هو أحسَّ بما فعلته زوجته؟ أيجعل ذلك ساعاته الأخيرة أكثر أوقات حياته تعاسة!؟ وإنْ حدث ذلك فماذا يمكن أن يقدِّم أو يؤخّر!؟؟ أيندم؟! أيحزن؟ أيبكي؟ أيشفق على نفسه؟ أيكره؟ أيموتُ على الفور؟ أيتظاهر بالاهتمام ويقول كلمةَ لوم أخيرة لا تضرّ ولا تنفع؟ أيدرك أنَّ فشلَه الكلويّ أهونُ عليه الآن من هذا الفشل الحياتي الذي تأخّر اكتشافه أيّما تأخّر.. أم سيدرك أنّه لا ينبغي أن يلوم الآخرين مادام جسدُهُ قد غَدَر به؟

اشتدَّ نعاسي وأنا أفكّر بأنّي ربّما كنت سأفعل الشيء نفسه لو كنت مكان تلك المرأة. ثمّ نعست أكثر فتساءلت إنْ كان تقدُّمُ العمر يحدونا لكي نتفهَّم أخطاء الآخرين على أنّها أخطاؤنا التي لم نرتكبها بعد. ثمّ نعست أكثر فأكثر فشعرتُ بالكراهية تجاه تلك الزّوجة، ووددتُ لو أنّها تموت بدلاً من زوجها.

* * *

في الصّباح كان السّرير بقربي فارغاً.. وعندما اقتادتني الممرِّضة من غرفة الطّوارئ إلى جناح النّساء، توقّفتُ قليلاً قرب البوّابة الخارجيّة للمستشفى فرأيتُ مجموعة من الرّجال تضع تابوتاً كبير الحجم فوق سيّارة أجرة.. كانت الزّوجة تبدو، وهي تبكي زوجَها وتصرخ وتتلوّى، وكأنّها غيرُ تلك المرأة التي شاهدتها بالأمس، وكانت تجاعيدُ وجهها تبدو أكثر حدّة في ضياء الشّمس وهي تختلج وتختفي لترشق المارّة برذاذٍ لا ينقطع من الولولات.

انتظرتُ حتّى تحرّكتْ سيّارةُ الأجرة قبل أن أستأنف سيري من جديد. لم أعدْ أشعرُ بالكراهية ذاتها لهذه المرأة.. بل انتابني الشكُّ فيما إذا كنتُ أعرفها أصلاً.. ولم يعد الأمر يعنيني تماماً كما كان يعنيني في اللّيلة الماضية.

بغداد

انتظار

ساجدة الموسوي

ليلةٌ من حنين
ليلةٌ من مطر.
غابَ فيها النُّعاس
نامَ فيها الشَّجرْ
أطبقَ الصَّمتُ على كُلِّ شيء
ما عدا قلقي المنتظر...
«وحدنا» كنتُ
لا أحد غيرنا
قلتُ يا ريحُ هاتي صدىٰ
أهلنا من بعيد
ويا برج روحيَ
راقبْ طلوعَ القمرْ
قطارٌ من الحزنِ يمشي
علىٰ سكّةِ العُمُر
أسمعه من بعيدٍ
يسيرُ الهوينا

وأدري المحطّاتِ موحشةً
والقناديل مرهفةً
والمساءُ طويلٌ.. طويلْ...
لا أنيسٌ ولا نأمةٌ
غير ورقاتٍ ذابله
ومدادٍ حزين
غير بعض الرّسائل
بعض الصُّوَر...
ليلةٌ لا أُبالي تطولُ
إذا ما تلاها نهارٌ
وأدري يجيءُ
وحتماً يجيءُ
وحتماً أراهُ
وحتماً أنامُ علىٰ راحتيهِ
وأغفو كما أُريد
في ثنايا الزّهر